# المحاضرتين الرابعة والخامسة: الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية

**أ/ سارة مسعوداني**

## أولا الازدواجـــــــــــــــية اللغـــــــــــــوية:

**أ/ في اللغة:**

إن أصل الازدواجية في اللغة العربية من مادة( زَ وَ جَ ) وقد وردت عند كثير من الدارسين المعجميين العرب ومن بين هؤلاء نجد ابن منظور إذ يقول" :زوج . الزوج: خلا ف الفر د . يقال :زوجٌ أو فردٌ كما يقال :خَساً أو زَكاً أو شَفعٌ أو وترٌ ... وقال تعالى{ **وأنبتنا فيها من كلِّ زوجٍ بهيجٍ** ...} وتَزَاوجَ القوم وازْدَوَ جوا :تزوَّجَ بعضهم بعضاً؛ صَحَّتْ في ازدوجوا لكونها في معنى تزاوجوا...وازدوجَ الكلام وتزاوج :أشْبَهَ بعضه بعضاً في السج ع أو الوز ن أو كان لإحدى القضيتين تَعَلُّقٌ بالأخرى...وقال الزجاج في قوله تعالى{:**احشُرُوا الذينَ ظَلَموا و أزواجَهُ}** ؛ معناه :ونظَراء همْ و ضرَبَاءَ همْ . تقول : عندي من هذا أزواجٌ أي أمثالٌ؛ وكذلك زوج من الخفاف أي كلٌّ واحدٍ نظير صاحبه " ومن ثمة يتضح أن الازدواج في اللغة يعني وجود نوعين أو ضربين أو شيئين متماثلين أو متناظرين بينهما رابط سببي.

مصطلح Bilingualism فذو أصل لاتيني يتكون من سابقة لاتينية Bi ومعناها مثنى أو مضاعف و Lingual لغوي واللاحقة ism الدالة على السلوك المميز أو الحالة أو الوصفة ومن ثمة فهي تعني سلوك لغوي مثنى أو مضاعف . 3 فيظهر أن للمصطلحين معنى واحد هو لغتان وهناك من يرى أنهما غير متطابقين وتعددت التصورات حولهما مما انعكس سلبا على كتابات الدارسين العرب من جراء ترجمة هذين المصطلحين فمن ترجمهما عن الفرنسية خالف من ترجمهما عن اللغات الأوربية الأخرى .فنجد من يستخدم مصطلح Diglossia ويقصد به الثنائية اللغوية ويستخدم Bilingualism ويريد به الازدواجية ومن يعمل عكس ذلك فيستخدم Diglossiaويقصد به الازدواجية و Bilingualism ويريد به الثنائية إذ نجد أن علماءنا في المشرق العربي يستخدمون Diglossia للدلالة على الازدواجية اللغوية و Bilingualism للدلالة على الثنائية اللغوية كنهاد الموسى وشاع لدى علمائنا في المغرب العربي عكس ذلك 4 وهذا الاستخدام غير مطرد.

**ب/ اصطلاحا:**

إن مفهوم الازدواجية اللغوية يرتبط بحالة الشخص الذي يمتلك القدرة على التواصل بلغتين طبيعيتين كالعربية والفرنسية أو بلغة و لهجة كالفصحى والعامية وهذان المستويان يُستختدمان بطريقة متكاملة وأحدهما له موقع اجتماعي ثقافي مرموق نسبياً على الآخر عند الجماعة البشرية المتكلمة – المستمعة المثالية .ومن ثمة فهي حالة لسانية مستقرة نسبي اً .وقد أشار الجاحظ( ت 111 هـ )إلى ذلك في وقت مبكر حيث قال" :ومتى وجدناه أيضا قد تكلّم بلسانين علمنا أنّه قد أدخل الضّيم عليهما؛ لأنّ كلّ واحدة من اللّغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها وكيف يكون تمكُّن اللّسان منهما مجتمعين فيه كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة وإنّ ّا له قوّة واحدة فإن تكلّم بلغة واحدة استفرغت تلك القوّة عليهم . 6 "فالجاحظ يرى أن اكتساب لغتين بالتوازي ممكن؛ لكنه صعب المنال نظرا لاختلاف مستوياتهما اللسانية.

أما اللساني ماروزو Marouzeou فأشار إلى الازدواجية اللغوية ورأى بأنها" خاصية فرد أو جماعة توظف بسهولة لغتين دون أن تبرز تغلب إحداهما على الأخرى في الاستعمال " . 8كما تحدث أندري مارتيني عن الأهمية الابلاغية لمزدوج اللغة وأكد على أن " التحكم التام من طرف المتكلم في لغة ما و السيطرة عليها ليس له معنى وأن كل من يتحدث لغته الأصلية دون معوقات من البديهي والأمر ينطبق على الشخص الذي يستعمل لغة ثانية إضافة إلى لغته الأصل فالمزدوج هو الذي يستعمل لغتين ويتحكم فيهما للتواصل مع الآخرين . 9 " فمن هاهنا –نجد أن مارتيني يركز على الوظيفة التواصلية لمزدوج اللغة فمتى حققت اللغتان الفهم و التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية يمكن أن نسمي المتحدث بهما مزدوج.

أما مصطلح **الازدواجية اللغوية** في الفكر اللساني المعاصر فقد عرف جملة من المفاهيم والتصورات التي سعت إلى رصد حدوده المعرفية الابستمولوجية وقد تعددت بحسب زاوية النظر إليه فمنها اللغوية المحضة والفلسفية و الاجتماعية و النفسية و غيرها.

**نشأتها:** ويعتقد البعض ان أول من تحدث عن ظاهرة الازدواجية اللغوية وهو الألماني كارل كرمباخر عام 1902 م .

**أسبابها:**

1 -**الأسباب الاقتصادية** :تسهم العوامل الاقتصادية في نشوء الازدواجية اللغوية وتنمينها، وذلك ان الانتصار الذي تناول إحدى اللغتين يكون في ميدان المعاملة، بعتٍ في صميم الحياة نفسها كذلك تستدعي حركات التصنيع في كثير من البلدان استخدام عمال ذوي جنسيات مختلفة ما يؤدي إلى نشوء ثنائية لغوية مثلما هو في دول الخليج العربي1 .

2 -**الأسباب السياسية** :للعامل السياسي أهمية كبرى في ظهور الازدواجية اللغوية و تفشيها، كالهجرة الجماعية لأسباب سياسية أو دينية، هروبا من الاضطهاد السياسي أو العرقي أو الديتٍ، وحتى هروبا من الفقر و الأمراض بحثا عن السلامة و الأمن .ويسهم كذلك الغزو العسكري في نشوء الازدواجية اللغوية اذا طول مدة الاحتلال و الشعور أفراد الدولة بأهمية اللغة الغازية و منفعتها، وتفاعلهم معها، يعطي اللغة الغازية دفعة للاستمرار و البقاء و الانتشار2 .

3 -**الأسباب الاجتماعية** :إن الأسباب الاجتماعية تتسبب في الظاهرة اللغوية، كما أن المستوى الاجتماعي يسهم في الظاهرة أيضا إسهام فيعتقد أصحابها أنهم باكتسابهم لغة ثانية رفيعة تساعدهم على تقمص منزلة اجتماعية رفيعة.

4 -**الأسباب النفسية** :تبرر الأسباب النفسية في فقدان الثقة بالنفس و باللغة الأم و تلك حال بعض الطلبة الذين يشعرون بالاعتزاز باستخدامهم لألفاظ أجنبية، فضعف الدول العربية مثلا ولد في نفوس أهلها الشعور بالتخلف عند التحدث بلغتهم الأم فتَغب هؤلاء في التقليد الغرب القوي و المتحضر و التفوق وكان بهم إن اللغة العربية هي سبب تخلف الدول العربية.

5 -**الأسباب التربوي** :للتعليم دور في انتشار الازدواجية فحتى يكون التدريس في كافة مراحله باللغة الأم تنهض اللغة و تنحصر اللغات الأجنبية، ولكن المشهد التعليمي الجامعي في البلد العربية بتناقص مع الوجيهة.

## ثانيا/ الثنـــــــــائية اللغـــــــــوية:

**تعريفها:** يرجع ظهور مصطلح **الثنائية اللغوية** " Diglossia " إلى العالم الفرنسي "وليام مارسيه "عام **1930 م** وهو مصطلح يوناني الأصل يتكون من سابقة Di ومعناها مثنى أو ثنائي أو مضاعف و Gloss ومعناها لغة ولاحقة ia للحالة .والجمع بينهما يفيد :صفة أو

حالة مثناة أو مضاعفة . 1 وقد عرفه وليام مارسيه بقوله "هو التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة . 2 "وفي عام 1959 م نقل شارل **فرغسون** Chares Ferguson مصطلح Diglossia إلى الإنجليزية ليدل به على شكلين مختلفين من الاستخدام للسان نفسه أي أنه تنافس بين تنوعين للسان واحد ووجود وضع مختلف لكل من هذين الشكلين اللغويين إذ يستخدم أحدهما في الحياة اليومية العامة ويستخدم الآخر في الأمور الرسمية والدوائر الحكومية وفي المدارس والمحاكم والوزارات وغيرها ويعتبر هو المعيار الرسمي والحقيقي.

**عوامل وأسباب ظهور الثنائية اللغوية:**

إن بروز ظاهرة الثنائية اللغوية في العربية كلغة فيه قولان:

**أحدهما** :يرى الثنائية اللغوية جزءا من الظاهرة اللغوية منذ بدايات اللغة .ذلك أن مشكلة الفصحى والعامية في المجتمع العربي ليست جديدة ولا طارئة إذ تعود جذور هذه المشكلة إلى عهد القدماء منذ النشأة الأولى للغة العربية فالعصر الجاهلي لم يكن بمنأى عن مثل هذه الازدواجية وإن لم تكن بمثل ما هي عليه اليوم؛ حيث تظهر الاختلافات اللهجية التي كانت قائمة حينذاك وسائدة مدى هذا الازدواج وإشكاليته 10 فالعرب لم يكونوا ينطقون لهجة واحدة وإنّا لهجات عديدة طالما كان الاختلاف بينها ظاهرًا وشديدًا حتى عهد قريب من تنزيل القرآن الكريم.

**الثاني** : يراها تطورا لغويًا اقتضته ظروف خاصة اكتنفت اللغة في فترات من تاريخها، و كثير من الدارسين يرد ذلك إلى ما بعد الفتح العربي الإسلامي الذي نتج عنه دخول أمم وشعوب كثيرة في الإسلام وأدى ذلك إلى صراع بين العربية واللغات الأخرى 11 نتج عنه هذا الازدواج اللغوي .و من سنن الكون أنه كلما انتشرت اللغة على أوسع نطاق من الأرض وزاد عدد الناطقين بها لا تستطيع الاحتفاظ بوحدتها الأولى بل تتبدل وتتحول على ألسنة الناس في جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية وحتى الدلالية. الأمر الذي يبدو واضحا بالنسبة للغة العربية على مر الأزمنة ومن عوامل ذلك نجد:

1_ انتشار اللغة العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان فقد تغلبت على اللغات اليمنية القديمة في معظم بلاد اليمن وعلى اللهجات الآرامية في معظم بلاد العراق الشام وعلى الألسنة القبطية والبربرية والكوشية في مصر وشمال إفريقيا و شرقها .ومن ثمة تأثرت اللغة العربية

بلهجات هذه المناطق وانحرفت في ألسنة أهلها انحرافا خاصا اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج ألسنتهم الأولى.

2_ **عوامل اجتماعية سياسية** :كاستقلال البلاد العربية بعضها عن بعض وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات فمن الواضح أن انفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية.

3_عوامل اجتماعية نفسية :تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحي التفكير والوجدان وما إلى ذلك فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة التعبير.

4_**عوامل جغرافية** :تمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها وما إلى ذلك وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال و أنهار وبحيرات وهلم جرا فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدي عاجلا أو آجلا إلى فروق وفواصل في اللغات.

5_**عوامل شعبية جنسية** :تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها والأصول التي انحدروا منها فمن الواضح أن لهذه الفروق آثارا بليغة في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات.

6_ **اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب** :فمن المقرر أن هذه الأعضاء الفيزيولوجية تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف.

7_**التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق** :فمن المقرر أن أعضاء النطق عند الإنسان في تطور طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها ومنهج آدائها لوظائفها؛ فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين إن لم تكن في بنيتها الطبيعية فعلى الأقل في استعداداتها بل إنها لتختلف في ذلك عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين .ومن آثار ذلك ثقل وتبدل بعض أصوات اللغة العربية كالجيم والثاء والذال والظاء و القاف في كثير من البلاد العربية .فنتج عن ذلك ازدواجية( ثوب – توب( )جيم – قيم( )ذئب –ديب( )ذهن – زهن( )ظلام – ضلام( )قط – أط... )إلخ.

8_**الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة** :قد تحيط بالصوت بعض المؤثرات التي تعمل على ضعفه بالتدريج كوقوعه في آخر الكلمة وزيادته عن بنيتها وعدم توقف المعنى المقصود عليه فيتضاءل جرسه شيئاً فشيئاً حتى يصل في عصر ما إلى درجة لا يكاد يتبينه فيها السمع فحينئذ يكون عرضة للسقوط وذلك أن معظم الأطفال الصغار في اكتسابهم للغة العربية في عصرنا الراهن لا يكادون يتبّينونه في نطق الكبار فينطقون بالكلمات مجردة منه .والأمر نفسه بالنسبة للحركات الإعرابية كتسكين الكلمات.مثل( أبوكَ – أبوكْ( ) أين– فين( )رأس – راس ) (الهواء شديدٌ – الهوَ شديدْ( ) أذن ودن ( )محمد – مَحمد( )سلطان – صلطان) يصدق – يسدأ( )فاطمة – فاطنة...)إلخ.

9_ تغيير مدلول الكلمات من العام إلى الخاص أو العكس عن طريق التوسع أو المجاز أو انتقالها من السلف إلى الخلف أو بتغير طبيعتها أو عناصرها أو وظائفها الاجتماعية كالريشة و القطار والإبل وغيرها.

10_ انقراض بعض الكلمات لانقراض مدلولها أو قلة استخدامه أو لثقلها على اللسان أو لدقة مدلولها .كأسماء الملابس و الأثاث وآلات الحروب ووسائل النقل والمقاييس والنقود ومظاهر النشاط والنظم الاجتماعية .التي كانت سائدة عند العرب في عصورهم الأولى(12 )